لقاء

## بسنيك مصطفاي «إسرائيل» تُبيد الشعب الفلسطيني إبادة شاملة

# وجه ألباني نعرفه ويعرفنا

**لا يغيب عن الروائي الألباني ووزير الخارجية السابق احترامه للمكوّن الإسلامي في هويته، ولا يعنيه كون أوروبا البيضاء ترى تناقضاً جوهرياً بين الإسلام وأوروبا. «نحن مسلمون أوروبيون، ولا نعاني من إحساس بالدونية» يقول لـ«العربي الجديد»**

القاهرة ـ **محمود عاطف**

أن يكون المرء سياسياً و«يحبّه الناس»؛ فهذه عجيبة. وأن يكون وزيراً سابقاً ثم ينزل بملء إرادته عن كرسيّه، في بلاد مثل بلادنا لا يحمل فيها المسؤولون صفة «سابق» إلا بعد أن ينزلوا لقبورهم؛ فهذه أعجوبة أُخرى. ثم أن يكون تنحّيه هذا بسبب حبه للكتابة ورغبته في التفرغ والإخلاص لها؛ فتلك عجيبة الأعاجيب.

وكل هذه الإدهاشات تشمل حياة الروائي والشاعر الألباني بسنيك مصطفاي، الوزير السابق لخارجية بلاده، وبسبب فرادتها صارت أول ما يثير الانتباه إليه، بيْد أن الرجل - الذي جلس في الجمعة الماضي وللمرة الأولى أمام جمهور معرض القاهرة الدولي للكتاب - يتعامل مع كل ذلك بخفة تثير الإعجاب بالفعل، وإن كانت نبرته لا تخفي اعتزازه بما قدّمه، لكنه بتواضع أوجز الأمر في قوله إن «حالة التصادم داخلي بين الكتابة والسياسة جعلتني أختار الأنسب لي، فالأدب مثل سيدة محبوبة لا تقبل شريكاً. لقد انسحبت من المناصب رغم أني لم أخسر أي انتخابات ولم أُتهم بشيء، وظل الأمر غير مفهوم لعامة الشعب، بل إن شهرتي زادت باستقالتي». صاحب «طبل من ورق»، التي ترجمت للعربية وصدرت عن «دار الحوار» عام 2022، ومن قبلها «ملحمة صغيرة عن السجن» التي صدرت عن «الآن ناشرون وموزّعون» عام 2021؛ يبدو قريب الشبه بالريفيين في بعض قرى الدلتا، بوجهه الدائري الأبيض المشرب بحمرة. أما بملابسه غير المتكلفة وحقيبة ظهره، اللتين حضر بهما لقاء القاهرة، فإنه يشبه مواطناً بسيطاً يمكن أن تصدفه وهو «يُراجع» في إحدى الدوائر الحكومية العربية. ولهذا فيما يبدو صلة ببساطته وعفويته وعدم تحفظه في الكلام، كقروي عفوي، رغم مسيرته الدبلوماسية السابقة، إذ كان كذلك سفيراً لبلاده في فرنسا، قبل أن يشغل منصباً وزارياً مفصلياً في واحدة من أدق لحظاتها. هذا عن الرجل نفسه، فماذا عن كتابته؟ هنا أيضاً لا تنقطع الدهشة، فمصطفاي الذي يجيد الفرنسية، ربما كأهلها، لا يكتب إلا بالألبانية، رغم ما تلقاه من عروض مغرية من ناشرين فرنسيين ليكتب بلغتهم، إذ سيتيح له هذا - كما أخبروه - انتشاراً أكثر، وبالتالي تحققاً أدبياً ومادياً أكبر. وعن هذا قال في حواره لـ«العربي الجديد» «الكاتب في لغته مثل السمك في الماء، فقط اللغة الأم هي ما تعطيك إمكانية للسباحة بحرية. إنما دخولك للغة أجنبية أشبه بوجودك داخل صندوق زجاجي في متحف للأحياء المائية (أكواريوم). من يكتبون بغير لغتهم الأم لا يدركون أن المهم هو أن يفهمك الناطقون بلغتك».

وعلى منصة معرض القاهرة أضاف مصطفاي حكاية أُخرى لاختياره الكتابة بالألبانية ولسانه الطويل، حين استضافته القناة الثالثة بالتلفزيون الفرنسي، فاستدركت عليه المحاورة الفرنسية بأن ميلان كونديرا، التشيكي المولد، اختار التحوّل للكتابة بالفرنسية، فما كان من مصطفاي إلا أن أجابها بعفوية «كل ما كتبه كونديرا بالفرنسية يبدو سيئاً مقارنة بما كتبه بالتشيكية في السابق». يضيف مصطفاي «في اليوم التالي تلقيت اتصالاً هاتفياً من كونديرا وبّخني فيه قائلاً «صغير مثلك أنت سيقدم إليّ نصائح». فما كان مني إلا إجابته «كون قولي أغضبك لهذا الحد، فهذا يعني أنها الحقيقة»، فما كان منه إلا أن أغلق الهاتف في وجهي».

يوضح مصطفاي: «أما أنا فأحب أن أكتب بالكلمات التي أحتاجها، لا التي أعرفها فقط. ولغتي الأم هي التي تمنحني هذه المساحة الحرة والبيئة التي لن أجدها في مكان آخر».

جاء مصطفاي إلى القاهرة ووقّع أحدث ما صدر له مترجماً للعربية، وهي روايته «باسم الأم والابن» التي صدرت عن «دار الحوار» السورية بترجمة عدنان محمد، وهي مشغولة كباقي رواياته بتأثير الفترة الديكتاتورية إبان الحكم الشيوعي في بلده، والتي دامت 45 سنة. وعن أهمية ترجمته للعربية أوضح لـ«العربي الجديد» أن ما يجمع بلاده بالمنطقة العربية كثير، لا سيما أن الإسلام دخل ألبانيا بداية القرن الخامس عشر، كما أن بلاده خضعت للخلافة العثمانية كما المنطقة العربية. يضيف أيضاً أنه وإن كان مشغولاً في رواياته بالهموم الألبانية حصراً فإن الألم في كتاباته عالمي.

فماذا عن الألم الفلسطيني، ومعروف عن الرجل التزامه بالقضايا الإنسانية؟ أجاب مصطفاي «العربي الجديد» أن القضية الفلسطينية هي المأساة الكبرى، وأضاف «ما حدث في السابع من أكتوبر لنفترض فيه أن حركة حماس استفزت الجانب الإسرائيلي، لكن إسرائيل تخطت ما يقال إنه حقها في الرد»، ثم أوضح مشدداً «لا يمكن حل القضية الفلسطينية فيما إسرائيل تبيد الشعب الفلسطيني إبادة شاملة».

وكما لا يغيب عن مصطفاي التزامه الإنساني، لا يغيب بالمثل احترامه للمكوّن الإسلامي في هويته، ولا يعنيه كون أوروبا البيضاء ترى تناقضاً جوهرياً بين الإسلام وأوروبا، يقول «نحن مسلمون أوروبيون، لسنا لاجئين ولا مهاجرين. لا نعاني من إحساس بالدونية أو التعالي تجاه باقي أوروبا. وإذا كنا سننضم للاتحاد الأوروبي فإننا سندخله بكل طبقات هويتنا، بما فيها الهوية الإسلامية». يختم مصطفاي حديثه قائلاً بجدية لا تخلو من تهكم عن التقارب الألباني العربي الغائب، إن بلاده كما بلادنا تنظران إلى بروكسل أو واشنطن، وليس إلى جيرانهما أصحاب العناصر الثقافية المشتركة والمتقاربة.

> إذا كنا سننضم للاتحاد الأوروبي فسندخله بكل طبقات هويتنا

بسنيك مصطفاي موقعاً أعماله للقرّاء في «معرض القاهرة الدولي للكتاب»

### بطاقة

شاعر وروائي ألباني من مواليد 1958، اتسمت تجربته بالمزاوجة بين الأدب والسياسة. كان من أوائل المنضمّين إلى الحراك الديمقراطي في 1990، ومؤسّسي «الحزب الديمقراطي» الذي دعا لتفكيك الحكم الشمولي. في 1991، أصبح عضواً في أوّل برلمان ديمقراطي، وفي 1992 أصبح أوّل سفير لألبانيا الديمقراطية في باريس. وفي 2005، أصبح وزيراً للخارجية، ليستقيل في 2007 من الحكومة و«الحزب الديمقراطي» احتجاجاً على ما آل إليه الحال مع رفاق الأمس.

---

إطلالة

## لهذا السبب أنا شخصٌ يحبّ الحياة

# كفاحنا مُرٌّ

**الحياة تتكرّر بما في جوفها من نكبات. بيوتنا وأجسادنا أضعف الإيمان تجاه البيت الأكبر المسروق، الذي ليس وطناً فحسب، بل أجمل من ملكوت الفردوس**

**باسم النبريص**




امرأة فلسطينية بجانب شارع جرفته قوات الاحتلال في جنين، 29 كانون الثاني/ يناير 2024 (Getty)

ولدت فلسطينيًا. لهذا السبب أنا شخصٌ يحبّ الحياة، ولكن ليس لدي ارتباط خاصٌ بالأشياء. مملكتي خارج الفضاء الخاص. ولا يهمني أن يتبدّل هذا، ما دام ثمّة وفرة في الفضاءات العامة، وهذا من حسن طالع البشر أجمعين، واللاجئين منهم بالخصوص.

كلا: لم يكن الفضاء الخاص (المنزل ومحتوياته، من مكتبة، مثلًا) كثيرًا معي على الإطلاق. ولهذا، من ضمن أسباب أخرى، خرَجَ من مجال الاهتمام، ربّما منذ عقود.

أهلي في النكبة، أُجبروا قسرًا على خسران ممتلكاتهم، من أرض وزراعة ومنازل وحيوانات وطيور، وجاؤوا قِطاع غزّة بثيابهم فقط.

راحت الأرضُ وراحت الدار. وكان يجب عليهم وعلينا أن نبدأ من الصفر الوجودي والمادي، بأتمّ المعنى. كافحوا وكافحنا. كَدحوا وكدحنا، حتّى ليصعب الآن على جيلنا الإجابة عن سؤال: في أيّ عمل يدويٍّ لم نعمل؟ سكنوا في خيام نيلون وسكنّا. ثم بنت «الأونروا» لنا على سوافي الرمل (بالمناسبة: هو أنظف وأطرى وأجمل رمل على الكوكب)، بيوتًا ضيّقة قليلة الإسمنت، وتعلوها صفوف القرميد الرمادي الهشّ.

هكذا مضت طفولتنا، ولما بلغنا سنّ العاشرة، بدأ الكفاح، وبعد مرور عقدٍ زمنيٍّ ونصف، استبدلنا القرميد ذاك بألواح «الإسبست» الرمادية، ولكن بعد طرْشها بالشيد الأبيض. ثم واصلنا الطريق، حتّى انصرمت عقود، فكان لنا بيت من باطون، وكان أن ارتحنا من دلف المطر (معلش: أرجو أن يغفر لنا التاريخ أننا تبرجزنا قليلًا).

لكن هذا الوغد، كما يبدو، لا يرحم ولا يغفر. فلقد طاف خبر في الإنترنت، مفاده: بيوتنا، أنا والأخوات والإخوة، وكلّ الشعب العظيم.. العوض بسلامتك.

في برهات، خرجنا من بيوت مُحترمة كلّفت شقا العمر كلّه، وبعضنا ما زال مديونًا من ثمنها القديم، إلى خيام نيلون في رفح العظيمة.

بنات أخواتي كتبن فوق صورة لأنقاض بيوتهن: «حسبنا الله ونعم الوكيل».

أمّا أنا فقلت: الأهمُّ أن نبقى أحياء. وأن يخرج منّا مقاتلو تحرّر وطنيٍّ، كي ترتاح تلك الأجيال التي ما زالت في ماضي الله ومستقبلنا.

إنّها الحياة تتكرّر أيضًا بما في جوفها من نكبات. لكن معلش: بيوتنا وأجسادنا أضعف الإيمان تجاه البيت الأكبر المسروق، الذي هو ليس وطنًا فحسب، بل أجمل من ملكوت الفردوس.

لهذا، وإن كان هذا ثقيلًا ولا إنسانيًا علينا جميعاً، أتمنّى على الـ 15 مليون فلسطينيٍّ، أينما كانوا، أن يكونوا مثلي: لا مجال لأي ارتباط خاص أو علاقة بالأشياء الحميمة.

لنتعلّم من جيل آبائنا وأمهاتنا: لنتعلّم من درس علم اجتماع النكبة الأولى: عاش هؤلاء وماتوا، دون ذرّة إحساس بالاستقرار في مكان ما، والعيش في نفس المنزل، وشراء الأثاث وأدوات المطبخ.

كانت أمي الزاهدة طوال عمرها تقول: أي حاجة بتمشي. بمعنى: كلُّ قليلٍ، كثيرٌ.

أجل. البيت، الفضاء الخاصّ وما ينجم عنهما؟ ليس هذا وقته، والله. بعد تحرير البلد، ممكن أن نرتبط بالأشياء، إلى أقصى درجة.

الآن وغدًا هما مرحلتا كفاحٍ مُرّ.

(شاعر فلسطينيٌ مقيم في بلجيكا)

> بعد تحرير البلد ممكن أن نرتبط بالأشياء إلى أقصى درجة

---



مُشاهدة

## حديد، نحاس، بطاريات تراكمات على أجساد هدّها التعب

# صدأ اسمُه العنصرية

**يتناول فيلم المخرج اللبناني وسام شرف قضية العنصرية والتمييز واللجوء في لبنان، وانعكاساتها على الفئات الاجتماعية الهشّة، من خلال قصة حبّ تجمع عاملةً إثيوبية بلاجئ سوري، في بلدٍ لا تخلو تقاليدُه من عِبادة القوّة والتزلُّف لها**

**أنس الأسعد**

يضعُنا فيلم «حديد، نحاس، بطاريات» (2022)، للمُخرج اللبناني وسام شرف، والذي أُتيح مؤخّراً ضمن سلسلة عُروض بيروتيّة، بقَلب المُشكلة العُنصرية في لُبنان، مع فارق أنّ نسبة الذّكاء والتلطيف تبقى محفوظة للفيلم على حساب الواقع العُنصري المُنحَطّ إلى مستويات غير مسبوقة ومُثيرة للشفقة. تُطالعنا الأخبار بشكلٍ شبه يومي عن محاولات انتحار تُقدِم عليها عاملاتٌ منزليّات أجنبيّات نتيجة تعنيف وسوء مُعاملة، وتحكُّم مَقيت بحيواتِهنّ، يؤطّره نظام الكفالة، فضلاً عن «إبداعات» على مستوى دمْج التكنولوجيا بمُلاحقة النّازحين السُّوريِّين، والتبليغ عنهم عبر «تطبيقٍ» استُحدِث مُخصّصاً لهذه المهمّة.

«حديد، نحاس، بطاريات» لا يُمثّل الواقع المُتبلِّد، بل ينقدُه ويرتقي عليه، لأنّ واقعاً كهذا من الصّعب أن يُنتِج أو يُلهِم بمُقترَح فنّي حسّاس. هذا التفصيل، ربّما كان هو التحدّي الأصعب لصُنّاع العمل الذين استطاعوا تجاوُزه فنّياً، وإن جاء هذا التجاوز على حساب تلطيف القسوة المشهودة بالكوميديا الخفيفة.

يروي الشريط (83 دقيقة)، قصّة حبٍّ حدثت وقائعُها على أرض «بلاد الأرز»، تجمع مهديّة بأحمد، العاملة المنزلية الإثيوبية باللّاجئ السوري، حيث يُمثِّلان نموذَجين عن أكثر الفئات الاجتماعية هشاشة، في بلدٍ لا تخلو تقاليدُه من عِبادة القوّة والتزلُّف لها والتبجُّح بها. فكيف يُمكن الرُّكون إلى «بَطلين» مسحوقَين وتمثيل حياتيهما التي تسير خارج هذه القوس؟

يحمل أحمد (لعب دورَه المُمثّل زياد جلّاد) كابوس الحرب السوريّة على كتفه. بقعةٌ من الصدأ الأسود فوق جلده تتوسّع شيئاً فشيئاً بالتوازي مع أيّام الفعالة اللُّبنانية الطويلة، والتي يتحوّل فيها انتظار عبور البحر إلى الضفّة الأُخرى إلى استعصاء في اللّامكان.

أمّا مهديّة (الفنّانة كلارا كوتوريه)، فتنجح بتخليص نفسها بعد عدّة مُحاولات أخذت طابع المُغامرات من بيت سيّدتها اللّطيفة (من طراز «نحن نعامِلُها مثل ابنتنا») وزوجها الضابط المُتقاعِد الخَرِف. وهذان الاثنان أيضاً ليسا شخصين، بل رمزين لطبقةٍ خَرِفة ومذعورة وتحتاجُ لمن يقودُها من يدها، دون أن يعني هذا أيّ التزام أو امتنان من قبلها.

قسوة الحديد وتراكُم النحاس والبطاريّات والخُردة تنعكس رقّةً على جسدي البطلين اللّذين تستغرقُهما ممارساتُ الحُبِّ الخاطف، ففُرص تأمين مكانٍ لهما شبه معدومة، هُما مُنتَبذان في اللّامكان، حيث ساعاتُ نوم عاملِي الفِعالة تُؤجَّر وتُباع، وكذلك العاملات المنزليَّات رهيناتٌ لأجَلٍ غير مُسمَّى في بيوت مَن يعملن عندهم. وبالتالي اختطافُ مُمارسة الحبّ بل «سرقته»، هو اقتطاع بالضرورة من حَيِّز ومُمتلكات الطبقة الأثرية ومَسٌّ بتقاليدها «النظيفة».

عمليّة الهروب من المدينة تُعيد الحبيبَين إلى مُخيّمات النزوح. هناك قصصٌ أُخرى ومحيطٌ مختلف، قاسٍ ومُركَّب هو الآخر، لكنّ بُقعة الصدأ على الكتف تتفشّى، وكأنها ساعةٌ رمليّة تُنذر بوقت ينفد أمام جسدين لا يزالان قادرين على الاتّكاء بعضهما على بعض، رغم أنّ النّحول والتعب قد هدَّهُما. وفي هبوطٍ نحوَ مشهدٍ أخير، تسقط يدُ أحمد بعد أن اكتمل صدأُها الحديدي من أعلى الكتف إلى نهاية الأصابع، قبل أن يتّجه الجسدان الظلّان إلى ما يُشبه مركباً كبيراً ينتظرُهما عند الشاطئ.

الفيلم محاولة لتناول قضية العنصرية والتمييز واللجوء في لبنان، وهو انعكاسٌ إلى حدٍّ ما لحِراك مُوازٍ تشهده البلاد، تقودُه ناشطات وناشطون وحقوقيّات وحقوقيون يخوضون نضالاً يومياً ضدّ طبقة قديمة/ جديدة بوجوه وأقنعة سياسة مُختلفة، ويدفعون ثمن مواقفهم.

> نقد لطبقة قديمة جديدة بوجوه وأقنعة سياسة مُختلفة





من الفيلم

---

## فعاليات

عند السادسة من مساء السبت المُقبل، يستضيف مركز «روزا لوكسمبورغ» في مدريد، **فعالية تضامُنية مع الشعب الفلسطيني ضد حرب الإبادة الجماعية**. يشارك في الفعالية **عدد من الناشطين** الذين سيتحدّثون عن الأوضاع التي تمرّ بها فلسطين، في ظلّ العدوان الأخير، كما ستُلقى قصائد شعرية تنديداً بالإبادة.

بين السابع والسابع والعشرين من فبراير/شباط المقبل، يلقي الناشط المكسيكي **ألفريدو كانتيو** أربع مُحاضرات عبر منصة «زوم» بعنوان: **القضية الفلسطينية: مئة عام من النضال**. تشمل المحاضرات أربعة محاور: بدايات الحركة الصهيونية والنكبة، و النضال الفلسطيني 1948 - 1970، و حرب السادس من أكتوبر 1973 وا تفاقيّات أوسلو، و الشرق الأوسط وصراع الهويّة».

ضمن فعاليات «مطبخ الكتابة»، تعقد «المكتبة العامة» لبلدية بيروت (فرع مونو)، عند السادسة والنصف من مساء الاثنين المُقبل، لقاءً مع الروائي اللّبناني **رشيد الضعيف** (الصورة)، يتحدّث فيه عن تجربته الإبداعية في كتابة أعمال مثل **أوكي مع السلامة**، و **عودة الألماني إلى رُشده**، و **ليرننغ إنغلش**.

**نسجيّات من خيوط وكلمات** عنوان المعرض الذي يستضيفه غاليري «مشربيّة للفنّ المُعاصر» في القاهرة، حتى الحادي والعشرين من فبراير/ شباط المُقبل، للفنّانة المصرية **صباح نعيم** (1967). تُحاول الفنّانة من خلال أعمالها ذات الطابع الصوفي خلق حركة إيقاعية مع الجسد، وإنشاء تقاطُعٍ بينه وبين النسيج.